DOI: fqhj.v1i43.16042/10.36324

توظيف النبي ﷺ لسورة الفاتحة في خطبة الغدير

دراسة (تحليلية)

أ . م. د قاسم كتاب عطا الله

م.م. وسيم راقم رحيم

الملـخّـص

وظَّفَ النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة الغدير نصوصاً قرآنيةً كثيرة، ومن بينها سورة الفاتحة المباركة[1]، التي كانَ لها بعدٌ دلاليٌ خاصٌ في سياق الخطبة، وقد تناولت ذلك بشكلٍ مفصلٍ في أطروحتي المعنونة (الأثر القرآني في خطبة الغدير دراسة تحليلية)، بيدَ أنَّ هذا البحث مقيدٌ بصفحاتٍ معدودة لذا اقتبست من ذلك ما يناسبُ المقام وهو متمثلٌ بالتحليل التحليل النحوي لسورة الفاتحة التي جاءت في سياق خطبة الغدير وقد عملت على ايجاد الرابط الدلالي بينَ النَّصِّ وتفسيره ومقامِ توظيفهِ من قبل النبي (صلى الله عليه وآله).

Summary

In the Al-Ghadir sermon, the Prophet7 employed many Qur'anic texts, including Surat Al-Fatihah, which had a special semantic dimension in the context of the sermon. It is limited to a few pages, so I quoted from that what is appropriate for the place, which is represented by the grammatical analysis of Surat Al-Fatihah, which came in the context of the Al-Ghadeer sermon .

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلى اللهُ على سيدنا محمدٍ وآلهِ الطيبين الطاهرين وأصحابِه المنتجبين .

أمَّا بعدُ :

فإنَّ توظيف النصِّ القرآني بلسان النبي (صلى الله عليه وآله) الأكرم وخطابهِ يمثلُ البعد الأهم في تأريخ الاسلام، بل يُعدُّ الكلمة الفصل في بيانِ دلالةِ تلك النصوص تنزيلاً وتأويلاً ؛ لأنها الوظيفة التي أنيطت بهِ(صلى الله عليه وآله) من قبلِ السماء بحسبِ دلالةِ القرانِ نفسهِ في قولِهِ تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢]، وأكَّدَ القرآن الكريم على هذهِ الوظيفة المُناطةِ بالنبي (صلى الله عليه وآله) وذلك في قولِهِ تعالى : ﴿ وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣] .

وقد كانَ من بينِ البيان النبوي للقرآن الكريم هو توظيف النصوص القرانية الكريمة في خطبهِ الشريفة عامة والخطاب الأخير المتمثل بخطبة الغدير خاصة، لذا عبرتُ عنها في أطروحتي بالخطبة القرآنية ؛ وذلك لأنها لم تنفكَّ عن القران البتة، توظيفاً وتضمينا واقتباساً واستشهاداً وأسلوباً واستدلالاً.

ولابدَّ من بيانِ عِدَّة أمورٍ قبل البحث، هيَ : (أهمية الموضوع)، (سبب اختيارِهِ)، (أهدافِ البحثِ وغايتهِ)، (الدراسات السابقة في الموضوعِ نفسِهِ)، (مشكلة البحث)، (فرضيات البحث)، (الصعوبات التي واجهها البحث) ، (منهج البحث) .

أمَّا (أهمية الموضوع) فلأهمية دراسة النص القرآني بعامة والتوظيف النبوي

وسياق التوظيف والدلالة التوظيفية خاصة ولأهمية التنوع الدلالي للنص القرآني ومن ذلك البعد النحوي للنَّصِّ القراني .

أمَّا (سبب اختيارِهِ) ؛ فلإبراز الدلالت المكنونة في النص القراني في مقامِ توظيفهِ لقربهِ من المعاني القصدية أكثر من غيرهِ ولاسيما في مقام توظيف النص من قبلِ النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ أعطى النبيُّ بعداً دلالياً خطيراً ومهماً لسورة الفاتحة.

أمَّا (أهداف البحثِ وغايتهِ)، يهدفُ البحث الى التحليل النحوي لأبرز ماجاء في سورة الفاتحة في سياق توظيفها في خطبة الغدير من قبلِ النبي (صلى الله عليه وآله) وبيان علاقة الدلالة بمقام توظيفها في خطبة الغدير من قبل النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله).

أمَّا (الدراسات السابقة في الموضوعِ نفسِهِ)، فلم أعثر على دراساتٍ تتعلق بسورة الفاتحة الموظَّفة في خطبة الغدير فضلاً عن تسليط الضوء على أحدِ مفرداتها، وقد اقتصرت الدراسات القرانية الغديرية على بعضِ الآيات دونَ غيرها كآية الولاية، وآية التبليغ .

أمَّا (مشكلة البحث)، فتتمثل ببحث الدلالات القرآنية المهجورة في تراث الاسلام عامة والنبي (صلى الله عليه وآله) خاصة وبيان أهميتها الموضوعية والعلمية، ولاسيما أنها جاءت على لسان أعظم شخصيةٍ في الكون .

أمَّا (فرضيات البحث)، فالباحث يفترض فرضية رئيسية للبحث وهي أنَّ المعاني التي دلَّ عليها التوظيف النبوي في خطبة الغدير تعدُّ المنطلق الأول للدلالات القرآنية الأخرى للنصوص عامة وسورة الفاتحة خاصة ولايمكن تجاوز ذلك من قبل

الباحثين والمفسرين .

أمَّا (الصعوبات التي واجهها البحث)، فمتمثلة بصعوبةِ الإختصار لكثرة المطالب المتعلقة بالموضوع، بيد أنني تجاوزت ذلك بانتخاب بعضِ العينات الموضوعية ودراستها والمتمثلة بالبعد النحوي لأبرز ماجاءَ في سورة الفاتحة.

(منهج البحث) . المنهج الذي اتبعته في هذا البحث هو المنهج التحليلي بآليته النحويةً، التي تعدُّ واحدة من الآليات التحليلية الستة، لتحليل النصوص وأعني بالآليات : (الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية، والبلاغية، والسياقية)[٤]، ويتفرع عن هذهِ الآليات آليات أخرى للتحليل كالتحليل الايحائي[٥]والتحليل الرمزي الاشاري[٦] وغير ذلك[٧]، ويشترك المجموع في تحصيل الدلالة القصدية لموظِّفِ النص القرآني الكريم وخصوصاً أنه(صلى الله عليه وآله) لم يكن كسائر الناس في مقامه، مما يلزم الباحث بضرورة التعمق في البحث والتنقيب في كل ما يمكن بحثه علمياً وموضوعيا. وقد جعلتُ على البحث على مبحثٍ واحدٍ بثلاثةِ مطالبٍ، ويسبق المبحث مقدمة وتمهيد وملخص، وتتلوهُ النتائج.

التمهيد

التحليل النحوي لسورة الفاتحة

وظَّفَ النبي (صلى الله عليه وآله) سورة الفاتحة في سياق خطبة الغدير قائلاً : " الحمد لله رب العالمين ..." [٨] وقال(صلى الله عليه وآله): "فيَّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمت وإياهم خصت، أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[٩].

والتحليل النحوي لسورة الفاتحة في سياق خطبة الغدير يتضمنُ دلالاتٍ عديدة، إلا أنَّ ثمةَ بعضاً من تلك التراكيب جاءت بشكلٍ مميزٍ في السورة ؛ كتعدد النعوت فيها (رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالكِ يومِ الدين) ،ومجيء الأفعال فيها بصيغةِ الجمع (نَعبُدُ، نستعينُ، إهدِنا)، وتقدُّمِ المفعول (إيَّاك) على الفعل والفاعل (نعبُدُ)، إذن سأتناولُ التحليل النحوي لهذهِ القضايا النحوية التي جاءت في السورة الكريمة ومن ثمَّ بيان العلاقة الدلالية بينَ دلالة المركبات النحوية فيها والدلالة التوظيفية التي جاءت في سياق الخطبة .

فيكون البحث على ثلاثةِ مطالبٍ هي : (دلالة تعدد النعوت في سورة الفاتحة ، دلالة صيغة الجمع في سورة الفاتحة، دلالة تقدُّم المفعول في سورة الفاتحة) :-

المطلب الأول

دلالة تعدد النعوت في سورة الفاتحة

جاءَ لفظُ الجلالة (الله) موصوفاً بأربعِ صفاتٍ[١٠]، فـ (ربِّ) صفةٌ أولى، و(الرحمن) صفةٌ ثانية، (الرحيمِ) صفةٌ ثالثة، و (مالكِ) صفةٌ رابعة، وإن أمكنَ إعرابُ (ربِّ) بدلاً[١١]، إلا أنَّ الأنسبَ اعرابُ (ربِّ) نعتاً لنكتةٍ تتعلقُ بالسياقِ من جهة الذي جاءَ معدداً للصفات، ولأنَّ لفظَ الجلالةِ إسمٌ دالٌّ على كلِّ الصفات وابدالهُ بغيرهِ من حيثُ قاصرٌ من حيث الدلالة اللفظية، فـ (ربٌّ) وإن أمكن أن تكونَ بدلاً من الناحية النحوية، إلا أنها من الناحية العقائدية تبينُ واحدةً من صفاتِ (الله) تعالى والتعبير عنها ببدل كل من كل أو جزء من كل فيهِ قصور في التعبير من من حيث المعنى لأنَّ صفات الله تعالى هيَ عينُ ذاتِهِ، وإن كانَ اعراب رب بدلاً للفظ الجلالة ممكناً نحوياً، إلا أنَّ المناسب توافق التركيب النحوي مع الدلالة، ولا سيما أنَّ النصَّ القرآنيَّ هو نصٌّ إلهيٌّ مصاغٌ من قبلِ السماء.

وقد جاءَ تعددُ النعوت الإلهية مناسباً لافتتاح السورةِ بالحمد ؛ فهذهِ الصفات الأربعة تبينُ السبب الداعي للحمد، وهو أنَّ اللهَ تعالى هو ربُّ العالمين جميعاً ولا ربَّ غيرُه، وهذا النعتُ من دواعي الحمد، إلا أنَّ السورة لم تكتفِ بهذهِ الصفة بل أضافة صفةً أخرى، وهيَ صفة الرحمن، فهو الرحمنُ بجميعِ عبادهِ، ثمَّ جاءت صفة (الرحيم) لتميزَ صنفاً من العباد بحسبِ استحقاقهم، فاللهُ تعالى رحمن بجميع عبادِهِ ولكنَّهُ رحيمٌ بصنفٍ آخر كما قالَ تعالى واصفاً نبيهُ(صلى الله عليه وآله) في قولِهِ تعالى : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾[١٢]، وهو سببٌ ثالثٌ للحمدُ، ثمَّ جاءت الصفة الرابعة وهيَ (مالِكِ) لتبينَ السبب الرابع الداعي للحمد وهو أنَّ اللهُ تعالى هو الملك لجميع

تفاصيل الخلق من الابتداءِ الى المآل، المتمثلِ بيومِ الدين وهو يوم القيامة بحسبِ السياق القرآني ؛ في قولِهِ تعالى : ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ ۝ وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾[١٣] .

وقد جاءت هذهِ الدلالة النحوية من تعداد النعوت مناسبةً لسياق الخطبة التي أحصيتُ[١٤] فيها ٩٩ من الأسماء الحُسنى التي نصت عليها الخطبةُ تمجيداً وتعظيماً لله تعالى، ولا سيما في افتتاح خطبةِ الغدير، وافتتاح الخطبة بأسلوب التعداد للصفات يعدُّ من الأساليب التأكيدية والتوثيقية للحقائق التي سيتم ذكرها في سياق الخطب عامَّة ؛ لتكونَ أكثرَ رسوخاً في نفسِ المتلقي، وهو ذات الاسلوب الذي اتخذَهُ النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة الغدير خاصَّة الإكثارِ من صفاتِ الأوصياء بعده ولا سيما الوصي المباشر المتمثل بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، بحسبِ سياقِ الخطبة، التي جاءَ فيها : " مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ فَضائِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ أَنْزَلَها فِي الْقُرْآنِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَها في مَقام واحِد، فَمَنْ أَنْبَأَكُمْ بِها وَعَرَفَها فَصَدِّقُوهُ "[١٥]، وقد بيَّنت الخطبة بهذهِ العبارة المكثفة لفظياً المتسعة معنوياً أنَّ احصاءَ فضائِلَ أمير المؤمنين علي عليه السلام غير ممكنٍ في تلكَ الخُطبة لكثرتِها، وبهذا تتضح أهمية تعداد الصفات في سياق السورة الموائِمِ والمناسبِ لسياقِ الخطبةِ أسلوباً وغرضاً ودلالةً، فتعدد الصفات في السورة تبينُ سبب الحمد، وتعدد فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة تبينُ سبب اختيارهِ من قبلِ السماءِ ولياً ووصياً بعدَ النبي (صلى الله عليه وآله) .

المطلب الثاني

دلالة صيغة الجمع في سورة الفاتحة

جاءت الافعالُ في سورة الفاتحة، بصيغةِ الجمع لا المفرد ؛ لتبينَ ضرورة اتيان تلكَ المضامين التي نصت عليها الافعال بصورةٍ جماعية، فلو جاءَ لفظُ العبادةِ أو الاستعانة أو طلب الهداية بشكلٍ مفردٍ في السورة لسبب خللاً كبيراً في دلالة التركيب، فالقرآنُ الكريمُ يستهدفُ بتركيبهِ النحوي الدلالة الأسمى والأرقى.

ومن الدلالات التي أفادتها صيغة الجمع في مفردة (نعبُد) هي أنَّ العبادة وإن كانت من تكليف الأفراد إلا أنها واحدة من حيث الهدف؛ فالمعبودُ واحدٌ فجمعُ العبادة في مفردةٍ واحدة من حيثُ اتفاق الهدف بينَ جميع العابدين، وهو اللهُ سبحانهُ وتعالى، فالجن والإنسُ متجهون نحو هذا الهدف على اختلاف مستوياتهم واستحقاقاتهم، ولكنَّ الشعور الجماعي يهبُ الأفراد دافعيةً نحو الهدف، فيحفزهُم من جهة، ويدفعهُم للتنافس من جهةٍ أخرى، كما قالَ تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١٦) .

والعبادة لوحدها لاتكفي المجتمعات المؤمنة بل هي بحاجةٍ للإستعانة باللهِ تعالى، فهو الموفق لكُلِّ خير، لذا جاءَ فعلُ الاستعانةِ بعدَ العبادة، ليؤكدَ احتياج جميع الخلق للعونِ الإلهي دونَ استثناء، فإذا ماتمَّت العبادة والاستعانة باللهِ تعالى، جاءَ استحقاقُ الهداية للصراط المستقيم الذي يهبُ الانسان منعةً وحماية عن الضلال والغضب الإلهي، وعن الوقوع في الهاوية، ومجيء فعل الهداية بصيغةِ الجمع دالٌ على

عدم استغناء العابدين والمستعينين عن الصراط المستقيم الذي يصححُ مسارهم العبادي، فهم بحاجةٍ الى معرفةِ أحكامهم العبادية بالشكل العلمي الصحيح المأخوذِ عن منابعهِ الصحيحة .

وثمَّة من يرى أنَّ السياق التركيبي " أتى بنون الجمع في قوله : (نعبد) و (نستعين) والمتكلم واحد ؛ لأنه ورد في الشّريعة أنه من باع أجناسا مختلفة صفقة واحدة ثم ظهر للمشتري في بعضها عيب فهو مخيّر بين ردّ الجميع أو إمساكه وليس له تبعيض الصّفقة، بردّ المعيب وإبقاء السّليم، وهنا لما رأى العابد أن عبادته ناقصة معيبة لم يعرضها على اللهّ مفردة بل جنح الى ضمّ عبادة جميع العابدين إليها وعرض الجميع صفقة كاملة راجيا قبول عبادته في ضمنها لأنّ الجميع لا يردّ البتّة، إذ بعضه مقبول"(١٧).

وعندَ الانتقال الى خطبة الغدير والنظرِ في دلالة هذهِ الأفعال بالمساوقةِ مع مضامين الخطبة، نجد أنَّ العبادة الجماعية تتمثل بشكلٍ واضحٍ بما قامَ بهِ المسلمون من حجِّ بيتِ اللهِ الحرام، وإقام الصلاة وطاعة النبي (صلى الله عليه وآله) والاستماع لخطبتهِ، وأمَّا الاستعانة باللهِ تعالى فتتمثلُ بقصدهم الحجَّ ومتابعة النبي (صلى الله عليه وآله) بصفتهِ رسول الله والناطق الرسمي عن الله تعالى وهم بذلك التسليم يعلنون استعانتهم باللهِ تعالى، أمَّا طلب الهداية، فمتمثلٌ بتسليمهم بما يقوم بهِ النبي (صلى الله عليه وآله) وما يأمر بهِ، ولا سيما بعدَ رجوعِهم من عبادة الحج الكبيرة والعظيمة، وهنا جاءَ دور النبي (صلى الله عليه وآله) ليهديهم الى الصراط المستقيم ويدلَّهم عليهِ بشكلٍ صريح، ولا سيما أنَّهُ سيفارقهم بعدَ ذلك العام، فقام النبي (صلى الله عليه وآله) بتحيد الصراط الذي ينبغي للمسلمين التمسك بهِ والسير على هديهِ ونهجهِ واجتناب السُبُل المتفرقة ؛ كما قالَ تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ≅ صِراطِ

اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[١٨]، وقد تحققت هذهِ الهداية على مدى ٢٣عاما من تبليغ النبي (صلى الله عليه وآله) لرسالتهِ، واكتملت في يومِ الغدير ؛ بحيث جعلَ الأسس الكاملة التي تصون الأمم عن الانحراف، بشرط مواصلة السير على الطريق الواضح المستقيم الموصل للهِ تعالى والمتمثلِ بعليٍ أمير المؤمنين عليه السلام وذريتهِ الحسن والحسين(عليهما السلام) والتسعة من أبناء الحسين(عليه السلام) وختامهم القائم المهدي(عليه السلام) .

ولتنجيز ذلك في أعناقهم فقد أخذ(صلى الله عليه وآله) البيعة منهم والإقرار بشكلٍّ جماعيٍّ ؛ اذ جاءَ في الخطبة ما نَصُّهُ : " مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُصافِقُوني بِكَفٍّ واحِد في وَقْت واحِد، وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ آخُذَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الاْقْرارَ بِما عَقَّدْتُ لِعَلِيٍّ أَميرِ المُؤْمِنينَ، وَلِمَنْ جاءَ بَعْدَهُ مِنَ الاْئِمَّةِ مِنّي وَمِنْهُ، عَلى ما أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّ ذُرِّيَّتي مِنْ صُلْبِهِ، فَقُولُوا بِأَجْمَعِكُمْ: "إِنّا سامِعُونَ مُطيعُونَ راضُونَ مُنْقادُونَ لِما بَلَّغْتَ عَنْ رَبِّنا وَرَبِّكَ في أَمْرِ إمامِنا عَلِيٍّ أَميرِالْمُؤْمِنينَ وَمَنْ وُلِدَ مِنْ صُلْبِهِ مِنَ الاْئِمَّةِ. نُبايِعُكَ عَلى ذلِكَ بِقُلُوبِنا وَأَنْفُسِنا وَأَلْسِنَتِنا وَأَيْدينا. عَلى ذلِكَ نَحْيى وَعَلَيْهِ نَمُوتُ وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ، وَلا نُغَيِّرُ وَلا نُبَدِّلُ، وَلا نَشُكُّ وَلا نَجْحَدُ وَلا نَرْتابُ، وَلا نَرْجِعُ عَنِ الْعَهْدِ وَلانَنْقُضُ الْميثاقَ "[١٩]، وقد جاءَ الإقرارُ والعلان للبيعة جماعياً وهو يوائِمُ ويناسبُ الدلالة النحوية للافعال الجماعية الثلاثة في سورة الفاتحة .

المطلب الثالث

دلالة تقدُّم المفعول في سورة الفاتحة

إنَّ لتقديم المفعول بهِ (إيَّاك) دلالة نحوية مهمة، فالمفعول بحسبِ التركيب النحوي المقيس يأتي بعدَ الفعلِ والفاع، إلا أنَّهُ جاءَ متقدماً في سورة الفاتحة وجوباً ؛ فـ " (إِيَّاكَ) ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدّم للاختصاص"(٢٠)، أي اختصاص الصفة (العبادة) بالموصوف(الله تعالى)، فالعبادة مختصة بالله تعالى دونَ غيرِهِ ؛ إذ لامعبودَ سواه، ففي الوقت الذي نجدُ في القران الكريم بأنَّ اللهَ تعالى ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٢١)، و ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٢٢)، و ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٢٣)، لانجدُ بأنَّهُ خير المعبودين، لأنَّ العبادة من مختصاتهِ ؛ أمَّا الرازقون والراحمون والخالقون – بإذنِ الله تعالى – فكثرٌ؛ فهو الذي أفاض بهذهِ الصفات على صفوةٍ من خَلقِهِ وهو صاحب الفضلِ العظيم على جميع الخلق، لذا نجدُ عيسى ينسب الخلق الى إذنِ الله تعالى ؛ كما جاءَ في القران الكريم : ﴿ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ﴾(٢٤)، بيدَ أنَّ العبادة فمن مختصات الله تعالى وحده وحده، أمَّا الهداية (إهدِنا) فبابها واسعٌ جداً ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد أفاضَ بها على صفوةٍ من خلقِهِ وأوليائِهِ وعبادِه، فالقران الكريم يهدي ﴿ إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾(٢٥)، والنبي (صلى الله عليه وآله) يهدي ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢٦)، والأئمة يهدون ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾(٢٧)، فأبرزُ الهداة في القران الكريم هم (الله تعالى، والقران الكريم، والنبي (صلى الله عليه وآله)، والأئمة)، أمَّا المعبودُ فاللهُ تعالى دونَ سواه.

ويتضحُ مما تقدَّم الغرض والهدف من تقدُّمِ المفعول(الضمير المنفصل المشير للذات الإلهية) وجوباً، وذلك لاختصاص العبادة والاستعانة بهِ حصراً .

ومن الجديرِ ذِكرُهُ أَنَّهُ قد جاءَ المفعول ضميراً مخاطباً بعد أن كانَ السياق السابق متسماً بالغيبة، فـ "عدل عن الغيبة الى الخطاب بقوله : إياك نعبد وإياك نستعين بعد قوله : الحمد للهّ رب العالمين لأن الحمد دون العبادة في المرتبة ألا تراك تحسد نظيرك ولا تعبده فلما كانت الحال بهذه المثابة استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر ولم يقل الحمد لك، ولما صار الى العبادة وهي قصارى الطاعات قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » فخاطب بالعبادة إصراحا بها، وتقرّبا منه عزّ وجلّ بالانتهاء الى عدد محدود منها"[٢٨].

وقد انصبَّت مضامين خطبة الغدير على مفهوم (العبادة) بمعناها الأخصِّ كالحجِّ والصلاة ؛ وذلك بقولِ النبي (صلى الله عليه وآله) :" مَعاشِرَ النّاسِ، أَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ كَما أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ... "[٢٩]، ومعناها الأعم المتمثلِ بكُلِّ ما جاءَ بهِ النبي (صلى الله عليه وآله) ودعا اليه ؛ لأَنَّهُ ﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ≅ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى ﴾[٣٠]، ولا سيما ماجاءَ في خطبةِ الغدير ؛ لأنَّ الغرض والهدفَ منهُ هداية البشرية الى هدفِهم المنشود وهو (العبادة)، وذلك بالسير على الصراط المستقيم المتمثلِ بالنبي (صلى الله عليه وآله) وأهلِ بيتِهِ بحسبِ ما نصَّت عليهِ خطبة الغدير، ومن ذلك قول النبي :" مَعاشِرَ النّاسِ، أَنَا صِراطُ اللهِ الْمُسْتَقيمُ الَّذي أَمَرَكُمْ بِاتِّباعِهِ، ثُمَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدي، ثُمَّ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةُ الْهُدى، يَهْدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[٣١].

وقد كانَ اصغاءُ المسلمينَ المتجمهرين لسماعِ الخطبة في عبادةٍ في ذلك التجمع الكبير، فعن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، قال : "من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبدالله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس"[٣٢]، وهذا مناسبٌ لدلالة (إيَّاك نعبُدُ) النحوية التي نصَّت عليها سورة الفاتحة في ضمنِ خطبةِ الغدير.

نتائج البحث

تمَّ البحث بحمدِ اللهِ تعالى وأسفرَ عن نتائجَ علمية وموضوعية تخصُّ علوم القران الكريم، وهيَ :-

يعدُّ التوظيف النبوي للقران الكريم عامة وسورة الفاتحة خاصة المنطلق الأول لفهم النص القراني فهماً موضوعياً مجرداً عن الاتجاه، بيدَ أنَ اتجاهات المفسرين والمتكلمين تقفُ حائلاً دونَ تلك التوظيفات المهمة .

إنَّ التفسير التحليلي النحوي للنصوص الموظَّفة في خطبة الغدير جاءَ مساوقاً مع ماصرَّحَ بهِ النبي (صلى الله عليه وآله) في خطابهِ من توظيف السورة، مما يعززُ صحة صدور ذلك النص الخطابي الكريم فضلاً عن الجانب السندي البالغ فوق حد التواتر في خصوص قضية الغدير .

إنَّ شمول دلالة سورة الفاتحة للمصاديق التي قصدها النبي (صلى الله عليه وآله) في توظيفه لهُ ثلاث منطلقات وهي سبب النزول وعموم السورة وخصوصها، ويعدُّ التحليل النحوي أحد العوامل المساهمة في كشفِ دلالة عموم النَّص، والتي أدت الى نفسِ النتيجة التي صرَّحَ بها النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته .

لايمكن للمفسر أن يعتمدَ على آليات محدودة في تحليل خطاب النبي (صلى الله عليه وآله) لعلو مقامه من جهة، ولضرورة التعمق في بحث مقاصدهِ من جهةٍ ملازمة لذلك، وهذا يجب أن يعتمد على دراسة ما نُسبَ للنبي من أثرٍ بالدرجةِ الأولى مقدماً على أقوال الباحثين والمفسرين والمتخصصين .

إنَّ أغلب المفاهيم القرانية التي نصَّ عليها القران الكريم لابدَّ أن تكونَ لها

مصاديقٌ خارجية، وإلا انتفى الغرض من النص وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) حريصاً على بيان أبرز تلك المصاديق وهي متمثلةٌ بأوصيائهِ من أهلِ البيت وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

* هوامش البحث *

(١) ظ : روضة الواعظين . زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري ٥٠٨ هـ . ص٩٦. ظ : الإحتجاج . أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي٥٤٨ه. ج١ . ص٧٨.

(٢) سورة النحل : الآية ٤٤ .

(٣) سورة النحل : الآية ٦٤ .

(٤) ظ : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة . د . محمود عكاشة. ص٣٢.

(٥) ظ : علم الدلالة (أصوله ومباحثهُ في التراث العربي) . د. عبد الجليل منقور. ص٧٧. ظ : تجليات الدِلالة الإيحائِية في الخطاب القُرآني (في ضوءِ اللسانيات المُعاصرة سورة التوبة أنموذجاً) . د.فخرية غريب قادر . ص٦٣.

(٦) ظ : الدلالة في لغةِ الصوفية . د . زينة جليل عبد. ص١١٧ .

(٧) ظ : عِلمُ الدِلالة . بيارغيروا . تر، انطوان أبو زيد . ص١٢١ـ ١٥٤. ظ : الرمزية والتأويل . توردوروف، تزفيتان . ترجمة وتقديم، اسماعيل الكفري . ص٧٠. أثر الدِلالة اللغوية في التأويل عندَ المُفَسرين . د.كمال مقابلة. ص٢٤٩.

(٨) الإحتجاج . أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي٥٤٨ه. ج١ . ص٨٠ .

(٩) الإحتجاج . أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي٥٤٨ه. ج١ . ص٨٠ .

(١٠) ظ : التبيان في إعراب القرآن ـ أبو البقاء العكبري ٦١٦هـ . ج١ . ص٥.

(١١) ظ : اعراب القران الكريم . احمد عبيد الدعاس . أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود . ج١ . ص٦.

(١٢) سورة التوبة : الآية١٢٨ .

(١٣) سورة الانفطار : الآيات ١٤-١٨ .

(١٤) ظ : أطروحتي المعنونة الأثر القراني في خطبة الغدير دراسة تحليلية . ص١٤٤ .

(١٥) روضة الواعظين . زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري ٥٠٨ هـ . ص١٠٠ . الإحتجاج . أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي٥٤٨ه. ج١ . ص٨٤.

(١٦) سورة التوبة : الآية١١٢ .

(١٧) إعراب القرآن وبيانه . محي الدين درويش ١٤٠٣ه . ج ١ . ص١٨ .

(١٨) سورة الشورى : الآيتانِ ٥٢،٥٣ .

(١٩) الإحتجاج . أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي٥٤٨ه. ج١ . ص٨٣.

(٢٠) إعراب القرآن وبيانه . محي الدين درويش ١٤٠٣ه . ج ١ . ص١٥ .

(٢١) سورة الصافات : الآية١٢٥ .

(٢٢) سورة المؤمنون : الآية١٤ .

(٢٣) سورة الاعراف : الآية١٥١ .

(٢٤) سورة آل عمران : الآية٤٩ .

(٢٥) سورة الاسراء : الآية٩ .

(٢٦) سورة الشورى : الآية٥٢ .

(٢٧) سورة الانبياء : الآية٨٣.

(٢٨) إعراب القرآن وبيانه . محي الدين درويش ١٤٠٣ه . ج ١ . ص١٨ .

(٢٩) روضة الواعظين . زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري ٥٠٨ هـ . ص٩٩. الإحتجاج . أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي٥٤٨ه. ج١ . ص٨٢.

(٣٠) سورة النجم : الآيتان : ٣، ٤ .

(٣١) روضة الواعظين . زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري ٥٠٨ هـ . ص٩٩. الإحتجاج . أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي٥٤٨ه. ج١ . ص٨٢.

(٣٢) عيون أخبار الرضا . محمد بن علي الصدوق(قدس) ٣٨١هـ . ج٢. ص٢٧٣.

* المصادر والمراجع *

١. إعراب القرآن وبيانه . محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ١٤٠٣هـ . دار الإرشاد للشئون الجامعية . دار اليمامة . دمشق. ط٤ . ١٤١٥ هـ .

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام .محمد بن علي الصدوق ٣٨١هـ . دار المتقين للثقافةِ والعلومِ والطباعةِ والنشر . بيروت . ط١ . ١٤٣٦هـ .

٣. الاحتجاج .أحمد بن علي الطبرسي (من اعلام القرن السادس الهجري) . تعليقات وملاحظات، السيد محمد باقر الموسوي الخرسان . منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . ط٣ . ١٤٢١هـ.

٤. إعراب القرآن. أحمد عبيد الدعاس . أحمد محمد حميدان . إسماعيل محمود القاسم . دار المنير ودار الفارابي . دمشق . ط١. ١٤٢٥ .

٥. روضة الواعظين . الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن علي الفتال النيسابوري الشهيد في سنة ٥٠٨ ه . تح : آية الله السيد محمد مهدي الخرسان . منشورات الرضي . قم – إيران . ط١.

٦. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية) . محمود عكاشة. الناشر : دار النشر للجامعات . القاهرة .ط١ . ١٤٢٦هـ .

٧. علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي . د. عبد الجليل منقور. الجزائِر . ديوان المطبوعات الجامعية . ط : لا . ٢٠١٠م .

٨. الدلالة في لغةِ الصوفية . د . زينة جليل عبد. بغداد . مركز البحوث والدراسات الاسلامية . ط١ . ١٤٣٢.

٩. عِلمُ الدِلالة . بيارغيروا . تر : انطوان أبو زيد . منشور عويدات . بيروت . ط١ . ١٩٨٦م .

١٠. الرمزية والتأويل . توردوروف تزفيتان . ترجمة وتقديم، اسماعيل الكفري . دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع . ط١ . ١٤٣٨هـ .

١١. أثر الدِلالة اللغوية في التأويل عندَ المُفَسرين .د . كمال أحمد فالح مقابلة (٢٠٠٩م) . المجلة الأردنية في الدِراسات الإسلامية . العدد (٣ / ب) . المجلد الخامس . ص٢٤٩، ٢٧٠ . www.pdfactory.com .
١٢. تجليات الدِلالة الإيحائِية في الخطاب القُرآني في ضوءِ اللسانيات المعاصرة (سورة التوبة أنموذجاً) . فخرية غريب قادِر. عالم الكتب الحديث . إربد ـ الأردن . ط١. ١٤٣٢هـ .

❊ ❊ ❊